

المثل السائر

وقال أبو العلاء محمد بن غانم المعروف بالغانمي إن كتاب الله خال من التخلص . وهذا القول فاسد لأن حقيقة التخلص إنما هي الخروج من كلام إلى آخر غيره بلطفية تلائم بين الكلام الذي خرج منه والكلام الذي خرج إليه وفي القرآن الكريم مواضع كثيرة من ذلك كالخروج من الوعد والتذكير بالإنذار والبشارة بالجنة إلى أمر ونهي ووعد ووعد ومن محكم إلى متشابه ومن صفة إلى لنبي مرسل وملك منزل إلى ذم شيطان مريد وجبار عنيد بلطائف دقيقة ومعان آخذ بعضها برقاب بعض .

فما جاء من التخلص في القرآن الكريم قوله تعالى (وائل عليهم نبأ إبراهيم إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون قالوا نعبد أصناما فنظّل لها عاكفين قال هل يسمعونكم إذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون قال أفأرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباءكم الأقدمون فإنهم عدو لي إلا رب العالمين الذي خلّني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين وإذا مرضت فهو يشفين والذي يميتني ثم يحييني والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين ربي هب لي حكما وألحّني بالصالحين واجعل لي لسان صدق في الآخرين واجعلني من ورثة جنة النعيم واغفر لأبي إنه كان من الضالين ولا تخزني يوم يبعثون يوم لا ينفع مالا ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم وأزلّفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين وقيل لهم أينما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون فكبكبا فيها هم والغاوون وبنود إبليس أجمعون قالوا وهم فيها يختصمون تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين وما أظننا إلا المجرمون فما لنا من شافعين ولا صديق حميم فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين) .

هذا كلام يسكر العقول ويسحر الأبواب وفيه كفاية لطالب البلاغة فإنه متى أنعم فيه نظره وتدبر أثنائه ومطاوي حكمته على أن في ذلك غنى عن تصفح الكتب